بل ضرورية جدا

للسيدة كرم حسن فهمى

« الى استاذى الجليل عباس محمود العقاد »

عادت خضرة وقد أنهكها التعب من جمع القطن تحت أشعة الشمس المحرقة فى الحقل

عادت خضرة إلى الدار ذات الحيطان السود والسقف المتداعى وجلست بجانب أخيها حسن على الحصير البالية وسألته :

... ألم تجد عملا فى القاهرة ؟

... لم أجد

ألم تذهب إلى عمك ؟

... لا فائدة

تذكرت خضرة زيارات عمها الغنى للقرية وكيف كان يستقبله القرويون وما استدانه والدها الفقير مبالغة فى اكرامه

بل تذكرت كيف كان حديث عمها لايدور إلاعن نفسه وأملاكه ومركزه الرفيع فى الجيش وعن قصره وما يحويه من تحف وصور وتماثيل

وتذكرت خضرة أن عمها عرض على والدها قبل وفاته أن يستصحبها معه إلى القاهرة ورفض والدها إذ ذاك

فاليوم وقد مات أبوها وماتت زوج عمها المخيفة التى ورث عنها كل هذه الثروة فلِمَ لا تذهب ؟

***

... ألا تأخذنى معك ياحسن إلى قصر عمى

... إنك لم تذهبى إلى القاهرة قط

... أرجو ياحسن ! ربما كان لى من التأثير على عمى ما ليس لك فيهتم بشأنك

***

سافرا إلى القاهرة وأدهشت حركة المدينة الكبيرة الفتاة وبلغت أخيرا قصر عمها وتساءلت عن محتوياته فى دهشة والعم يشرح :

... هذا البساط النادر ثمنه مائة جنيه . فخلعت الفتاة خفيها ووضعتهما تحت إبطها خشية تلويثه

العم : وهذه السجادة الفارسية الأثرية ثمنها ثلاثمائة جنيه .

فتحسستها الفتاة وقالت : لكنها قديمة ياعمى ، ففهقه صاحب القصر وأجابها : لهذا كانت ثمينة ، فانها أثرية منذ ألف سنة

... انظرى هذا التمثال النصفى البديع ! صنعه أكبر مثال فرنسى معاصر

... وهذه صورة زوجتى بريشة الرسام سوسانت كلفتنا مائة جنيه

قالت الفتاة : هل هى أثرية أيضا أى منذ ألف سنة ؟

ففهقه العم مرة أخرى لسذاجتها

***

وفى المساء نامت الفتاة تحلم بالقصر البديع الذى يقطنه عمها وحيداً لايشاركه فيه إلا خادمه العجوز والاهذه التحف والتماثيل . ونام أخوها حسن وهو يدبر أمرا

فى مساء اليوم التالى عاد حسن إلى القصر بعد أن جال فى شوارع العاصمة وقال لعمه :

عثرت اليوم ياعمى على صورة فنية بديعة للرسام الشهير ج . س

قال العم : بالشوق لصورة من ريشته !

حسن : رفض الايطالى العنيد أن يبيعها

العم : أغره بالمال ، هذه ألف جنيه ؛ وإذا طلب أكثر فأنا مستعد

***

وعاد حسن فى صباح اليوم الثالث يحمل إطارا كبيراً أسدل عليه ستار من الحرير الأزرق حجب الصورة ، ووضع الاطار بصورته الغامضة في صدر قاعة الاستقبال الكبرى بقصر عمه

وفى المساء حضر صاحب القصر ومعه رهط من الغواة والفنانين والمعجبين بالفنون

ووقف حسن بجانب الاطار ورفع عن الصورة الستار وتكلم :

أيها السادة . ترون الآن صورة ، فاتنين البائسة ، صورها هوجو بقلمه كلاماً ، وعربها حافظ بلاغة ، ورسمها ج . س الرسام الايطالى الشهير صورة ناطقة

كم أتقن الفنان تصويرها وتصوير البؤس فيها ! ألا تعد آية من آيات الفن ؟ كم تقدرون ثمناً لها ؟

العم : ألف جنيه

بعضهم : وأكثر

واستطرد حسن يقول : يجب أن نقدر الفن فالفن ضرورى للحياة ، بل ضرورى جداً ،

فمن الواجب أن نقلع عن تقويم مطالبنا بمقدار الحاجة إليها ، فان ذلك التقويم غير صحيح ، فنحن نستطيع أن نفقأ أعيننا بأصابعنا أو نقطع ألسنتنا ونعيش بغير ملكة النظر والكلام سبعين سنة ولا نستطيع أن نعيش بغير الخبز ...

وندع تقويم الفكر إلى تقويم السوق ، فالحلية أقوم من الآنية الضرورية ، ولان نشيد قصراً بديعاً ينحت فيه عشرة مثالين فينتجون تماثيل للزينة خير ألف مرة من بناء مصنع أو سفينة يعمل فيهما الآلاف فينتجون ...

« والتمثال أغلى من الكساء ، وكأس الويسكى أغلى من طن الماء ، والطباق أغلى من الهواء .

« وأقصى ما نبلغه فى تحصيل الخبز أن نتساوى وسائر الأحياء ، ونحن إذا حصلنا الفنون الجميلة فما نحن بأناسى فحسب بل أناسى ممتازون نعيش فى أمة ممتازة ، نعيش فى أكواخ من اللبن والطين

* * *

« فان كنا نبغى أن نعيش كما تعيش الأحياء فحسبنا الضروريات المزعومة ، حتى تأتى الكماليات فتلاشيها ، وحتى يأتى غيرنا ، فينزع هذه وتلك .

« ومن الواجب ثالثا أن نذكر ما هو العلم الذى يفوقنا به الغربيون ، فليس هو التجارب العويصة فى مصانع السيارات ، ولا الاختبارات والمخاطرات الشاقة فى عالم الطيارات والسفن والدبابات ، كلا ، لا يفوقنا الغربيون بهذا فان الشرق ليحذق صناعة الطيارة ... اذا ... (فتأملوا من فضلكم اذا) .

أيها السادة ! فى علم حسابنا أن القصيدة الغرامية تساوى طيارة ، وفى نحوتنا أن التمثال يعنى سفينة أو سيارة ، وقال أمين الريحانى : يامن يبيعنى فلسفة بطيارات فلم يعبأ به أحد .

« ولقد يخطىء بعض المصلحين فى تقويم الفنون فيستكثرون ما أنفقت عليها الدول والملوك والسروات ، وأخطأ اللورد بافرلوك لما قال « إن المقتصدين أسياد العالم » ورو كفلر مجنون إذ رفض رسم صورته نظير ثلثمائة جنيه بريشة أكبر رسام أمريكى .

أيها السادة ! قدرتم ألف جنيه لصورة « فاتنين البائسة » فكم تقدرون لها الآن اذا عرفتم أنها بائسة حقيقية من اللحم والدم ؟ (تتحرك الصورة وتخرج من الأطار لأنها امرأة حقيقية)

كم تقدرون لها الآن ؟

أصوات — لاشىء

أيها السادة ... هكذا نقوم الحقيقة ، وهكذا نقوم الخيال ، وهكذا نبيع نصف عقولنا ونخسر نصف أعمارنا وننفق نصف أموالنا لنظهر بمظهر الامتياز واللباقة والتهذيب

أيها السادة ... تلك أمم بلغت شأوها ونالت الضروريات ثم التفتت إلى الكماليات ، ونحن أمة لاتزال فى أشد الحاجة الى الضروريات ، والضروريات القصوى أولا

كرم حسن فهمى
خرم ناظر محطة م . ا